رأى فى تدبير التربية فى لبنان[1]

مرفوع إلى فخامة الشيخ بشارة الخورى
رئيس الجمهورية اللبنانية

لا يخفى علىّ أن أمر التربية وما يدخل تحته من تنشئةٍ وتثقيف شغلٌ شاغل للبنان فى هذا الوقت . وقد وقع إلىّ كما إليكم وقع بعض ما جرى فى هذا الشأن من اقتراحات وتصويبات وما نشأ من وراء ذلك من مضاربات فى الوجهات ومفارقات فى الغايات . والتحقيق أن ليس هذا كله إلا تطوافاً حول صميم التربية . وذلك أن إيثار سياسةٍ تجرى إلى إصلاح الموجود وتداركه ، تارة بالحذف وأخرى بالزيادة وثالثة بالاستبدال ، إنما هى حال تصلح للأمر الذى استقرت فواتحه واستبانت خواتمه ودرج الذى بينهما إلى غايةٍ معلومةٍ ممحّصة . وعلى هذه الصفة لا يكون أمر من الامور القومية إلا إذا استتبت همة الأمة وثبتت خطاها وطال مسيرها فساقها ماضيها يرافقها زاد من التجارب والتقاليد .

وليست هذه حالَ الأمة اللبنانية . فهى اليومَ خارجة ، بل طافرة ، من عهد إلى عهد : من عناء وضنك ، إلى انفكاك وفسحة ، من خضوع ورضا إلى إباء وغضب ، من استسلام واتكال إلى كدّ وتصرف ، من فرح باليسير إلى وثب على الصعب ، وبالجملة من التأمل لما كان إلى التبصر فى ما يكون . فليس فى الأمة اللبنانية اليومَ استتبابُ همة ولا ثبات خطا ولا طول مسير ، فماضيها القريب عاجز عن أن يدفعها إلى حرّ السبيل . وليس من الحكمة أن يُنظر فى الماضى فتفحص أدواؤه ، إذ لا رجاء فى قطعها قطعاً ، إنها والله لمزوجة

---

(١) مذاكرة ألقيت فى « المدرسة الأهلية » ببيروت فى الواحد والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٥ بدعوة من « جامعة نساء لبنان » .

بالدم ، مصبوبة فى العصب . فى مثل هذه الحال تُنشأ الأمة إنشاء كأنها تستأنف ولادتها ، وقد استردّت خصائصها إلى جنب الفضائل التى تحلت بها قبل أن يهجم عليها عهد العناء والضنك والخضوع والرضا والاستسلام والاتكال والفرح باليسير . وقد وصفتُ هذا العهد بالقرب ، وليس القرب فى تاريخ الأمم بمنحصر فى خمس وعشرين سنه .

على هذه الأمة الكريمة إذن أن تتبصر فى مايكون . فكأنى بكم تترقبون منى حديثاً هو ملهج الأندية على اختلافها ، ومثار جانب من الاقتراحات والتصويبات التى أشرت إليها . كأنى بكم ترونى أخوض فى قصة الثقافات الإفرنجية وأفلّ قصولها ، وأدل من هنا ومن هنا أفنّد ، لعلى أحملكم على أن تنزلوا الثقافة اللاتينية المنزلة العليا فتعدّوها الصحيحة الصالحة ، أو على أن تروا الخيرَ فى أن تختاروا الثقافة الأنجلوسكسونية وأنكم إن لم تفعلوا خفّت عقولكم . ألا إنى أربأ بنفسى وبأنفسكم أن نزلق فى نقاش يهزأ هو نفسه بنا . نحن صرنا إلى عهد الانفكاك والفسحة ، فهل نزاوج فى رقابنا الأغلال ونضاعف تجاه أبصارنا الأستار ؟ بنا حاجة ونحن فى مطلع الطريق — وهو عسير — أن نفسح الرئات لكل هواء نقى ملائم نافع مستطاب أينما كان المهبّ . وعلى أية حالٍ كلنا يدرى أن النفس منجذبة إلى ما ألفت ، والذهن منساق إلى ما تخرج فيه . لذلك نرى العربىّ المتطرف لا يؤمن إلا بثقافة آبائه ، وكذلك نرى الناشئَ النامىَ فى أحضان الأنجلوسكسونية أو اللاتينية أو الجرمانية لا يرضى إلا بإحدى هذه المرضعات الثلاث . ولكن مثل هذا الموقف الجامد لاسلامة فيه ولارجاحة ، بل فيه مرض وفيه ارتجال ، لأنه يميل مع الهوى وينقاد للشعور من جهة ، ومن جهة أخرى يُغضى عن الواقع ويهمل ما يقتضيه . وكل تفكير تحركه الشهوة صائر إلى فساد ، وكل تدبير تسوسه الغفلة واقع فى العسف .

أن نحذر الهوى فنطرحه ، ثم نفحص الواقع فننزل عند أحكامه ، هذان هما الرائدان السليمان الراجحان . وإذا كان طرح الهوى يسيراً ، أو كاليسير متى ووعت النفس فدرت ثم زكت فسمت وغايتها القومية الخالصة والوطنية العاقلة ، فإنما فحص الواقع يجرّ إلى الاستطلاع . وإنى محاول له ، وقد أخطىء وقد أقصر ، غير أن وراء المحاولة نيّة بيضاء ، وودًّا مقيما ، وشُغلاً ببلوغ الملائم

الحسن ثم إن الواقع يضم الحسنات بجنب السيئات ، ولابد من تناول الطرفين على السواء ، وفى الطرف الثانى ما لا يبسط النفس ولا يلذ السمع . وياليت الأمم جمعاء لا تشوب حسناتها سيئات .

من المتفق عليه من عهد الفيلسوف الانجليزى Herbert Spencer أن التربية على ثلاثة : تثقيف الذهن ، وتهذيب الخلق ، وترويض الجسم . وتحت كل منها فروع ومذاهب . ولست أعرض فى حديثى لترويض الجسم ، فله أصول لا تختلف باختلاف البلدان إلا بعض شىء . والكلمة الفاصلة هنا لغيرى ممن يتقن ذلك الفن نظراً وعملا . فهمُّنا إذن منصرف إلى تثقيف الذهن وتهذيب الخلق . فكيف لهذا التهذيب ولذاك التثقيف أن يجريا فى لبنان ؟ هذا باب الاستطلاع ينفتح لنا :

لست بمقبل على إحصاء المدارس من ابتدائية وثانوية وعالية ، ولست بناظر فى النظم والنهُج والكتب ، ولست بمقسم للطرائق وموزع للمنازع . كان يحق هذا لو كنت ممن يميل ميلان الذى يريد إصلاح الموجود . وقد صارحتكم أول هذا الحديث بأنى أرى غير هذا ، أرى الإنشاء دفعة . فليبقَ الموجود على حاله حتى ينقرض بطبيعته ، فيَخلف أهلَه جيل محدَث نكون قد جبلناه فصغناه صوغاً هو أليق بهذا العهد . وإن ظن أحد أن إصلاح الموجود قائم قيام سياسة بصيرة ومجدية فهذا مثل مصر العزيزة ، أراها تدأب فى تقويم التعليم منذ عشرين سنة أو تزيد ، بصدق واطراد ، ولا تكاد تصنع شيئاً لأنها تجعل الإصلاح يجول فى الجهاز المنقبض الذى كان المستشار الإنجليزى Dunlop فرضه عليها أيام الاحتلال ، وهى أيام سود . فهما يتلفت الفكر النيِّر تحصرْه زاوية مظلمة ، ومهما تتحرك النية الصادقة يصرعْها حائط ثابت . وخير لنا جميعاً أن ننتقل إلى أرض رحبة نبنى فيها مانشاء ، فننور الزوايا ونفرِّج الحيطان على حسب رغباتنا وحاجاتنا ، بدلا من أن نُنهك فطنتنا فى نقاش عقيم ، وننفد سعينا فى الترفق للزواية المظلمة كيف نُدخل عليها شعاعاً خاطفاً أو فى تحسس الحائط أين نحسن ثقبه .

لتبقَ المدارس الموجودة بنظمها ونهُجها وكتبها . غير أن الذى مرض قلبه وأزمن إذا يئس الطبيب من شفائه جدَّ فى مراقبته . ومعنى هذا اننا إذا سلمنا بالعجز عن تدارك المدارس لرسوخ أصولها فى صعيد طرنا عنه اليوم ، فقبيح

بنا أن ندعها تنمو على هواها فتخرج جيلا او جيلين يشاركان فى نهضة الأمة بقدر يسير ، أو لايشاركانها لبتة ، أو ينصبان لها الحرب .

لذلك لا بد من مراقبة تلك المدارس مراقبة فعالة فى ناحية القومية المحضة وفى ناحية برنامج وزارة المعارف . والناحية الثانية مدارها التزام المدارس المختلفة — رسمية كانت أو أهلية — لمنهاج تضعه الوزارة للتعليم . وأما الناحية الأولى فقوامها عفّ بعض هذه المدارس أو كفها عن استباحة كل ما يورث ضرراً بوطنية التلميذ أو يُعقب خطراً على كيان الأمة . ولهذه المراقبة على شقّيها فطن المسئولون عن التربية فى لبنان . وقد ترامى إلىّ أنهم اختطوا خطةً لذلك تترجح بين الشدة واللين . غير أنهم لايزالون عند الفطنة للأمر ، أعنى أنهم لم يخرجوا من الجانب السلبى إلى الجانب الإيجابى . وحسبى هذه الإشارة بسبيل المراقبة ، فلست أعنى هنا بالذى هو موجود ، بل أعنى بالذى يحسن أن يوجد ، أعنى بالإنشاء .

وإنى مقترح عليكم رأياً فى ذلك أسوقه سياقة الإجمال معرضاً عن التفاصيل :

الذى عندى أن لبنان لاسبيل له — أوّل الأمر — عن معلمين تنشّئهم الدولة من طفولتهم الناعمة حتى فتوتهم البالغة ، إذ تهيئ لهم مدرسة فريدة جديدة تكون روحها ونحوها وغايتها من طراز مستحدث :

يُقبل الطفل المعَدّ للتعليم ، وهو فى الخامسة من عمره ، على روضة للأطفال ، أغنيًّا كان أم فقيراً ، ابن وضيع كان أو ابن رفيع ، ابن درزى أو ابن مارونى . فينمّى هنالك ذهناً وخُلقاً وجسماً تنميةً أسُسها الوداعة والبساطة والسماحة ، فلا تكليف ولا تخويف ولا تعنيف . ولا حاجة إلى تبيين الطريقة التى تخلق بروضة الأطفال ، فقد ألّف المحدثون من علماء التربية عند الإفرنج فصولا مسهبة فى ذلك .

وإذا خرج الطفل من روضته تلقّته مرحلة الدراسة الابتدائية ، وهى على قسمين : أحدهما للبنين والآخر للبنات . وعند تمام هذه الدراسة يُنقل من الأطفال إلى مرحلة الدراسة الثانوية من كان نجيباً ، وذلك بوساطة الاختبارات والأقيسة المعروفة فى أساليب التربية . والنجيب من حسن نظره وقوله وفعله ، فدلّ على استعداد فى الفهم وقبولٍ للتحصيل ومقدرةٍ على السعى الطيب . ثم

تنتهى الدراسة الثانوية ، فيقبل التلاميذ الفتيان والتلميذات الفتيات على دراسة عالية تجمع بين العلوم والآداب والفنون . ومتى نهلوا ذلك النهل الصافى دخلوا فى أبواب التخصص ، فمضى هذا إلى اللغة وهذا إلى الأدب وانصرف ثالث إلى الرياضيات ورابع إلى الكيمياء ، إلى آخر ماهنالك من أنواع التحصيل وألوانه . وعند الخروج من هذه المرحلة الخاتمة يُفرَز الفتيان والفتيات ، ويُنتقى منهم ومنهن نخبة تكون زبدة الصفوة ، فترسل إلى أوربة وأميركة ليسترسل كل واحد من رجالها ونسائها فى الاجتهاد ، ويتوسع فى التلقى على غير تقيّد بلغة واحدة أو بثقافة واحدة ، لأن المعرفة العليا عدوّة للضيق .

ذلك مختصر القول فى سير التعليم فى تلك المدرسة الفريدة الجديدة سواء فى مراحلها أو مايلى مراحلها . ومقصد تلك المدرسة إنما هو إخراج فوج حديث من المعلمين وسرب من المعلمات . أما الذين لم يذهبوا إلى أوربة للاسترسال والتوسع فينتشرون على الفور فى المدارس السائرة ويحلون محال المعلمين العاملين فيها ، وذلك شيئاً فشيئاً وخطوة خطوة ، مبتدئين من الصف الأدنى حتى يبلغوا الصف الأعلى . وأما الذين ذهبوا إلى أوربة فمتى يرجعوا يُقبل فريق منهم على تخريج دفعات أخر من المعلمين فى تلك المدرسة الفريدة الجديدة وعلى تأديبهم وتجهيزهم فى المرحلتين الأخيرتين ، ويقبل الفريق الآخر على شؤون العلم من تنقيب وتأليف وتوجيه .

ومتى توافر من الفريقين عدد ذو شأن ، ومتى دلّت مباحثهم ورسائلهم ونصائحهم على طرافة وبراعة وأمانة ، حق للبنان أن يطرق باب العلم الصرف ، فيتوج تلك المدرسة الجديدة بمعهد عالٍ مقصور على البحث المجرّد والمتجرّد ، يتلقى فيه المشتاق إلى أنوار العرفان نهايات التجارب الإنسانية فى عالم الفكر ، ولا مطمع له فى شهادة أو إجازة ، وإنما غرضه الاغتراف الدائب من نبع علوى فكأنه يرى مع فيلسوفنا الغزالى « أن تحصيل العلم عبادة بل هو أفضل العبادات » . وبهذا المعهد الذى يذكرنى الحلقات التى كان يعقدها علماء العرب فى المساجد وفى الزوايا وفى المجالس (ومن قبل عقدها اليونان) ، والذى يقارب فى تصورى معهداً فى باريس هو Collège de France ، بهذا المعهد يتفرد لبنان فى الشرق العربى ـ بعد أن نزع « الأزهر » الشريف جلبابه ـ فيصير منارةً ويبرهن أن المادّة غير غالبةٍ على جانب منه .

هذا ويحسن إنشاء قسم فى هذا المعهد يوقف لأبناء المغتربين المتطوحين فى أنحاء العالم، فتُقرَّب فيه إليهم — فى فصل الصيف وأيضاً فى فصل الشتاء إذا شاءوا — لغة وطنهم الأول وتاريخه وآثاره، فينبعث فى أنفسهم الحنين ويتوثق الانعطاف.

وبعد، فإن مدرسة كتلك يتوجها معهد كهذا خير للبنان وأجدى عليه وأليق به من جامعة يزمع بعضهم على إنشائها، ومقصده منافسة جامعة كذا أو جامعة كذا، أو رغبته مزاحمة ثقافة كيت أو ثقافة كيت. نحن فى هذا الشرق مصابون بداء النفْج — والنفج كلمة أحبَّ إمامنا الجاحظ استعمالها، وهى تفيد التبجُّح والتزعُّم. يقول بعضنا: هيا ننشىء معهداً للموسيقى، فينشئون نادياً. ويقول آخر: عندنا كلية للآداب، والحق أن عند أصحابه مدرسة تتطلع إلى كلية وتتسلق أولى درجاتها بعناء. ألا كيف تُنشأ جامعة بلا عدد كاف من الأساتذة ذوى الكفايات! ثم ماذا نجنى فى العهد الجديد من جامعة تستقبل طلاباً تخرجوا فى مدارس أكثرها مجبول من طين العهد العتيق. أو يظن أحد أن النشء يُنشَّأ بعد سن العشرين؟ وإذا أذنتم لى أن أستشهد بما لاقيت وعانيت فالله أعلم كم جاهدت نفسى وأنا أتلقى العلم فى عواصم أوربة، فى سبيل الإفلات من أوهام تكتنفنا والخلاص من نقائص التربية. وما أظننى أفلحت الفلاح كله.

وعلى هذا لا يحسن الإزماع بإنشاء جامعة لبنانية إلا بعد إعداد جيل جديد

والآن ما يكون منهج تلك المدرسة التى تخرج المعلمين باطراد؟ ثم ما يكون منهج المدارس السائرة بعد خروج الدفعة الأولى من المعلمين تليها الدفعات؟ هنا يُنظر فى حال الأمة وحاجاتها، وتُستبان صفاتها إن حسنةً وإن سيئة، ويرسم المنهجان على حسب كل ذلك. تلك هى الطريقة العلمية الموضوعية الآخذة باستخراج المواد من المدوسات، ثم معالجة تلك المواد. فمن الخطأ أن يظن ظانٌّ أن حَسْبَه اختيار منهج من المناهج الأوربية، فينقله نقلا إلى بلد عربى. وأما قول القائل بأن لبنان داخل فيما يسمونه ثقافة البحر المتوسط، وعليه إذن أن يتأثر خطا البلاد الواقعة فى منطقتها، فذلك قول مرتجل، لأنه لا يستند إلى الواقع. فالواقع المحسوس أن لبنان بأرومته وتاريخه وتقاليده وآثاره ولغته

وعادات أهله ، له ميزات تفرده فتقصيه قليلا أو كثيراً عن تلك المنطقة . وإن حلا لفئة من المتخرجين فى معاهد إفرنجية ان ينجذبوا انجذاباً إلى بلادٍ تلى ذلك البحر الفاصل لا الواصل ، فذلك شانهم وحدهم . إذ أن التربية تشمل الأمة بجملتها ، فهى غير مقصورة على فئة . والأمة حقيقة من الحقائق ، وليس من المعقول أن تُساق الحقيقة الراهنة بالخيال المرتجل .

ومن الخطأ كذلك أن يُتخذ فى لبنان منهج يكون هو إياه ، بالجملة وبالتفاصيل ، فى جميع البلدان الناطقات باللغة العربية . هذا أيضاً عبث بخصائص كل أمة ، وغفوة عن هيئاتها الفطرية . ومثل الذى يرى هذا كمثل طبيب فى يده وصفة للمعود يوزعها يميناً وشمالاً دون أن يتفحص المرضى مريضاً مريضاً ويتعرف خفايا المعد ، حتى يعدّل الوصفة بحسب ما بان له فى جسم كل مريض .

وليست حال البلاد العربية من الناحية الاجتماعية متماثلة كل التماثل ، وليست حاجاتها بمتوافقة كل التوافق . ثم ليست حسنات أبنائها وسيئاتهم واحدة . كما أن بين هذه البلاد وبلاد الإفرنج أبعاداً يعجز البصر أحياناً عن بلوغ مراميها .

إذن يُرسم منهج خاص بالأمة يكون مسايراً لحالها ، كافياً لحاجاتها ، زائداً فى حسنات أفرادها ، متداركاً لسيئاتهم . وهنا باب الاستطلاع ينفتح من جديد . فلنمض فى رفق وعلى عجلة :

الأمة اللبنانية موزعة فى جانب الدين ، مرتبكة فى جانب السياسة ، متضاربة فى باب التمثل الشعبى : الأرض بقع بقع والمدينة حى حى ، متباعدة فى مجرى الدم : لا مصاهرة فلا التحام ، متفرقة اللحاظ وهى تنظر إلى ماضيها ، حائرة وهى تتأمل كيف يكون استمرارها فى الزمن الآتى . كل ذلك عرضتُ له بالتفصيل والتمثيل السنة الماضية فى مذاكرة أجريتها فى « كلية المقاصد الاسلامية » ببيروت وأنا أتكلم فى مقومات القومية وعلى رأسها اللغة ، فلاحاجة إلى العودة[1] .

وأما صفات أبناء الأمة ، فبعض الذى يبدو لى بعد الجس والتأمل والتعرف أن فيهم فطنة وخيالا وميلا إلى الاطلاع ، ولكن فيهم أيضاً أو فى أكثرهم غروراً يبعثهم على التفجج الذى تحدثت عنه فى ما سلف من القول . هذا من جهة

---

(١) نشرت هذه المذاكرة فى باب « التعريف والتنقيب » من مجلة « المقتطف » ديسمبر ١٩٤٤

الذهن . وأما من جهة الخُلق ففيهم نشاط وثبات وتعويل على النفس ، مع إباء فيه خشونة أحياناً ، ولكن فيهم أيضاً تعصباً لأهوائهم ونفوراً من النظام ، ثم فى طائفة منهم غفلة قومية أو شبه غفلة . وفيهم بعد هذا تغليب للمادة على الروح فى المدن خاصة .

فنظراً إلى كل ما تقدم من وصف حال الأمة وحاجاتها وحسنات أبنائها وسيئاتهم يُسَنُّ السِّنَن فى تخريج المعلمين من طفولتهم الناعمة حتى فتوتهم البالغة ، فيخرِّجون بدَورهم الجيل الآتى على حسب ماتخرجوا هم . ويجرى ذلك السنن المستبصر بالواقع إلى ركز القومية فى النفوس بمراجعة مقوماتها ومعالجتها بفضل وسيلة قائمة ثابتة جامعة هى اللغة المنطوق بها فى أنحاء لبنان ، فتتآلف القلوب وتتواطأ الأذهان وتتسابر الإرادات ، بعد أن تُصرع أوهام الطائفية ومجاذبات السياسة ومنازعات التمثل الشعبى ومدافعات الدم وقلقلة النظر إلى الماضى وذبذبة التأمل فى طريق الاستمرار — هذا من جانب . ومن جانب ثان يجرى ذلك السنن المستبصر بالواقع إلى إرهاف الفطنة وتسديد الخيال وتغذية الميل إلى الاطلاع ، مع استئصال الغرور وبتر النفج ، ويجرى كذلك إلى استثمار النشاط والثبات والتعويل على النفس وإلى ترويض الإباء ، مع تطهير القلوب من سواد التعصب كائناً ما كان ، وإدراج إرادة الفرد فى إرادة الجماعة برهن ثقته عند ثقتها ، ومع توليد الوعى القومى أو تنميته ، وإعلاء قدر الروح فوق شأن المادة فى المدن .

مَن يسن هذا السنن الذى ما تعديت الإلماع إليه والتمثيل له ؟ من يسلط على حال الأمة وحاجاتها ثم حسنات أبنائها وسيئاتهم نظراً ثاقباً ، فيتفحص ويتعرف ثم يقرر ويدبر ، فيعين فلسفة فى التربية مستخرجة أصولها وطرائقها من أسرار الأمة ثم يمضى إلى مقاصدها العليا ؟ كلا لن يكون رجل سياسة ، بها شغلة ، ولن يكون عابر سبيل . ذلك أن الإنشاء يستلزم رجل عمل مسئولاً دؤوباً ، بل خوّاضاً لا يعوقه سد ولا تقلبه ريح ولا يجرفه تيار ولا غمامة تغشى لحظه . وزيادة على ذلك إن إنشاء تدبير يفترض الدراية بفن من الفنون ، وهو التربية ، مع ماينطوى فى هذه الدراية من بصر عال بعلوم شتى مثل علم الاجتماع وعلم نفس الطفل وعلم الأمراض العقلية ، ومن اطلاع وافر على أطراف المعارف التى يتلقاها

الفتى والفتاة — إن إنشاء تدبير هذه صفته لا يحسن به إلا أن يُجعل فى أيدى نخبة قليلة من البصراء المتخصصين والعلماء الراسخين ، فيكونون جميعاً من أهل الكفايات وأصحاب التجارب لا من أهل الشفاعات وأرباب «المنعنات» كما يقال فى لبنان (وهى الحزبية فى مصر) . ثم يكونون جميعاً على تجرد واقتناع وإخلاص مع إقدام وثبات . ولوزير المعارف أن يرأس تلك الحلقة ويتبين مقاصدها ويمتحن أساليبها ثم يمضى اقتراحاتها ويفرضها فرضاً دون أن يستثنى أحدا .

بقى هذا السؤال : من أين يجلب الأساتذة الصالحون لتخريج الدفعة الأولى من المعلمين ؟ ثم من أين للبنان تلك الحلقة المباركة ؟ فكأن قائلا منكم يقول : ألسنا كلنا غارقين فى لجة العهد الماضى ، عهد العناء والضنك والخضوع والرضا وغير هذه ؟ والجواب عن هذا السؤال يسير : إن أحداً لا يستطيع أن يزعم أن المثقفين اللبنانيين بأجمعهم لذهم أن يزحفوا وأن يرسفوا . ألا أقبلوا على الجد وأبصروا الحق تستبق إليكم من جبلكم ومن ساحلكم همم عالية وعزائم صادقة .

وستكون تلك الحلقة مبتدأ لمجلس علمى يُعنى بعد توجيه التربية بالإشراف على تأليف الكتب المدرسية ، وبإنعاش اللغة العربية الشريفة وإنمائها ، وبتوليد المصطلحات العلمية نشرها . ثم يعنى فوق ذلك بتوحيد أصناف الجهد فى ميادين العلم ، فيشارك رجاله — ونساؤه إن هو ضم نساء — فى تأديب المعلمين فى تلك المدرسة الفريدة الجديدة ، وفى تلقين طلبة المعهد الذى يتوجها دقائقَ الآداب ورقائق الفنون مع كفالة المعوزين من أولئك الطلبة المشتاقين إلى أنوار العرفان ، وفى إحياء نفائس الأدب العربى وذخائره ، وفى نقل لطائف الأدب الغربى ولوامعه ، وفى إخراج مجلة مرصودة للبحث البحت والأدب الرائق ، لخلاصة التنقيب وعصارة التفكير ، فلا ترديد ولا ترخيص ولا بذل بتيسير ، تلك مجلة بالشرق العربى كله حاجةٌ إليها . ويعنى ذلك المجلس أيضاً بالآثار والفنون ، فيتعقب التراث الغالى ويستخرجه فيحفظه ، ثم ينظم المعارض والمتاحف ودور الكتب ، ويتلفت إلى المسرح والموسيقى والنحت والرسم

وإن نشأ هذا المجلس أول نشأته صغيراً فلن يبطئ أن يمتلئ ويحفل . سوف يمده اللامعون من المتخرجين فى ذلك المعهد والبارعون من المتفقهين فى معاهد أوربة وأميركة . ثم للمجلس ، بل يجمل به ، أن يستعين فى التخطيط والتنظيم ،

والتدريس والتلقين ، بصفوة من العلماء الاجانب سواء كانوا من الشرق أو من الغرب . على أنه من المستحسن أن يُجلب العالم الغربى من بلده تواً ، لان الأجنبي المقيم قد يكون العهد الماضى غرّه بخرفه . ومن المرغوب فيه بعد ذلك أن يُنتقى العالم البرىء من إضمار الاستعمار .

ذلك هو التدبير الذى أراه ، رسمته وقد اخففت رأس القلم فلم أشبع ألوان الخطوط ، ولم أسطر تفاريعها وتعاريجها إلا بمقدار . فلست فى هذه المذاكرة إلا رجلا يقترح . وفى اعتقادى أنه إذا سار صاحب أمر على هذا الرسم ، يوم تستوفى خطوطه ، صارت الامة فى طريق التجدد القومى ذهناً وخلقاً بفضل العلم المستبصر ، فيستأنس الطفل بمنبعه ويعبّ الفتى من عيونه ثم يهنؤ الرجل عند مصبه ، فيدخل فى رحاب إنسانية نقية راقية بقلبه وعقله وإرادته ، مستمسكا بخصائص أرضه ، مستنشقاً أنساماً طيبات مقبلات من أرض غيره .

تلك هى غاية الثقافة الحق : تفتيح الروح وتصعيد الفكر . ولى فى عناصرها حديث آخر يطول ، سأفرد له كتاباً برأسه إن شاء الله .

بشر فارس